م- المحاضرة رقم:5 العلاقات الجزائرية مع الأسرة المرادية

1-فترة حكم البايات المراديين 1629-1702م :

يجمع أغلب المؤرخين على أن تحول النفوذ من يد الداي إلى الباي في تونس كان ابتداء من عام 1629 ، وقد نجح مراد باي 1613-1631، في أن يورث الأمر "حكم تونس " من بعده لأبنائه ، فأسس بذلك أسرة حاكمة في تونس وهي الأسرة المرادية حيث جاء من بعده ابنوه حمودة باشا 1631-1666م ، ثم مراد الثاني .1666-1675 ولكن السلطة في تونس صارت منقسمة بين الدايات والبايات .

وقد أدخل المراديون جملة من الإصلاحات والتنظيمات، فعلى المستوى العسكري أنشئوا جيشا خاصا بهم يعتمد على عناصر أهلية ، إذ استقدموا عسكر زواوة من منطقة القبائل البربرية ، وفرسان الصبايحية من القبائل المخزنية أما بخصوص أفراد الجيش التركي فبقي يتبع الداي .

2-التدخل الجزائري في الصراع على السلطة بين أبناء الأسرة المرادية ونهاية حكمهم :

بدأت الأزمة السياسية على السلطة في تونس حينما حاول الجيش الانكشاري بقيادة الداي الحاج علي اللاز في سنة 1673م ، إلغاء الحكم المرادي واستعادة مؤسسة الداي زمام النفوذ والسلطة الكاملة منها ، ولكن المراديون تمكنوا من القضاء على هذه الانتفاضة وبشدة ، ولكن سرعان ما نشبت أزمة ثانية ، فيما بين أولاد مراد الثاني المتوفي عام 1675م ، إن الأزمة هذه كانت بين كل من محمد باي وعمه محمد الحفصي بدعم من علي باي ابن مراد الثاني . واحتكم المتخاصمون إلى الديوان الذي كان لصالح محمد الحفصي15 أكتوبر 1675.

و لم يرض محمد باي بهذا القرار واستقر بمنطقة الكاف يحشد الجيوش و يتحين الفرصة لاستعادة السلطة بقوة السيف الى تمكن من ذلك في16 ديسمبر 1675.واول عمل قام به هو سجن اخيه علي،الا ان هذا الاخير استطاع الافلات من السجن واللجوء الى قسنطينة.

تزوج بإبنة شيخ بني نصر من قبيلة الحنانشة ثم طلب العون من شيخها لاسترجاع ملكه من اخيه فحشد الجيوش وزحف على التراب التونسي حيث التقى الجيشان في جبل وسلات وقد اسفرت المعركة عل هزيمة محمد باي1677م الذي فر الى الجنوب (الجريد) استقر بها ، وخلال هذا الوضع ظهر منافس جديد قديم وهو عودة منصب الداي الذي يصبح يحمله احمد شلبي المدعوم من الباب العالي ، حينها تحالف البايين الاخوين محمد وعلي وبمساندة جزائرية (الداي حسين ميزومورتو1683-1688) ضد الداي احمد شلبي والذي تم الاطاحة به وقتله.

تمكن محمد باي بالإنفراد بالسلطة من عام 1686 والى غاية 1696 ، كما وافق السلطان العثماني على تسميته بايا على تونس ، وفي الوقت نفسه منح الداي بكداش لقب الباشا . وبعد ها عرفت تونس نوعا من الاستقرار والهدوء ، الا ان ذلك لم يمنع من ظهور المتربصين و الطامعين في حكم الايالة التونسية ، ومن بينهم صهر الباي (أي زوج اخته) وكاهيته محمد بن شاكر.

لما احس الكاهية محمد شاكر بمحاولة الغدر به من قبل الباي محمد ، غادر تونس متجها الى اداء فريضة الحج وفي طريقه الى هناك اعترضه قراصنة فرنسيين ونهبوا امواله وكل ما يحمله لذا غير اتجاه رحلته الى الجزائر واستقبل فيها من طرف الداي حسين موزمرتو احسن استقبال .

وفي عهد الداي الحاج شعبان(1688-1695) استطاع الكاهية محمد شاكر ان يقنعه بمهاجمة تونس وايضا اقناع داي طرابلس محمد الامام بان الباي التونسي يخطط للاستيلاء على الجزائر وطرابلس والتقى الجيشان في منطقة الكاف (معركة الكاف الاولى) وفر الباي التونسي الى الجنوب ونصب خلفا له محمد شاكر ولكن الامور في تونس لم تستقر فثارت الرعية عليه وعزلته وعاد محمد باي الى السلطة مرة اخرى.

خلف محمد باي أخوه رمضان باي الا انه كان هناك طامع آخر في السلطة وهو مراد الثالث ابن علي (مارس 1699-1702)الذي استطاع قتل عمه ودخول العاصمة تونس.

بادر مراد الثالث بمهاجمة قسنطينة عام 1700م ، بقوة تعدادها 12الف جندي و4آلاف فارس و32مدفعا، وهي اول حملة تونسية تغزو التراب الجزائري مدعوما بقوات من طرابلس الغرب يقودها خليل الارنؤوطي حيث فرض حصارا على مدينة قسنطينة الى ان وصلت نجدة من مدينة الجزائر بقيادة الداي الحاج مصطفى اهجي (1700-1705) الذي تمكن من فك الحصار وإلحاق هزيمة بالقوات التونسية ثم إلحاق الهزيمة ايضا بالمولى اسماعيل وقتل 3آلاف مغربي بل كاد ان يقتل سلطان المغرب او يقع في الأسر 1700م.

3-معركة الكاف الثانية 1705تحت قيادة ابراهيم الشريف

بعد هزيمة مراد الثالث أمام أتراك الجزائر بقسنطينة في اكتوبر 1701م ، مما عجل بمقتله على يد إبراهيم الشريف في 9 جوان 1702 وبذلك ينتهي حكم الأسرة المرادية بتونس .

باشر إبراهيم الشريف السلطة في تونس وحمل لقب الداي والباشا معا ودخل في صراع مع داي الجزائر في جويلية 1705، فوقع في الأسر ، وتواصلت هجمات أتراك الجزائر على تونس ووصلوا مشارف مدينة تونس ، فتصدت المقاومة التونسية ليم بقيادة حسين بن عمي الذي أجبرهم على التراجع والتقهقر .

إن تلك الشجاعة والبسالة في المقاومة التي أظهرهما حسين بن علي لرد عدوان أتراك الجزائر على مدينة تونس أكسبه شعبية عظيمة ، رفِع بهما إلى منصب باي تونس ، وتمكن تدريجيا من القضاء على منافسيه ، من الداي محمد خوجة الأصفر ، وابراهيم الشريف الذي عاد من أسره في 5 نوفمبر 1705م، لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ تونس تحت حكم الأسرة الحسينية .